Maghrebi care for Sahih Muslim bin Al-Hajjaj

العناية المغاربية بصحيح مسلم بن الحجاج

الباحث: يوسف السملالي: كلية الآداب والعلوم الإنسانية أكادير

جامعة ابن زهر

تاريخ الاستلام: 2024/7/9 تاريخ القبول: 2024 /7/16 تاريخ النشر: 2024/8/15

الملخص:

وبناء عليه، فقد فتح المغاربة قلوبهم للإســـلام، بعد أن فتحوا بيوتهم للداعين إليه، فانبرت ثلة مباركة من نجبائهم للرحلة إلى مهبط الوحي، ومقر التشــريع، يهتبلون من بركات الدوحة النبوية، تلقيا وحفظا وتقييدا؛ فرجعوا بعلم جم، أودعوه تصـــانيفهم، وأملوه في مجالســـهم، ينهل طارفهم من تالدهم، فأينعت خزانات الكتب بأنواع التآليف؛ ما بين الأمالي، والمصنفات، والشروح، والتعليقات، والمختصرات، وغيرها

الكلمات المفتاح: العناية المغاربية، صحيح مسلم، بن الحجاج.

Abstract

Accordingly, the Moroccans opened their hearts to Islam, after they opened their homes to those who called to it, so a blessed group of their nobles set out on the journey to the place of revelation and the seat of legislation, taking advantage of the blessings of the prophetic tree, receiving, memorizing and recording; so they returned with abundant knowledge, which they deposited in their writings, and dictated in their gatherings, drawing from their past, so the bookstores were filled with various types of compositions; between dictations, compilations, explanations, commentaries, summaries, and others.

Keywords: Maghrebi care, Sahih Muslim, Ibn al-Hajjaj.

المقدمة:

إن المتأمل في مؤلفات السنة وشروحاتها يستجلي مدى العناية المبذولة في ضبط ألفاظها وبيان غريبها وليس هذا بادئ الرأي بغريب، بل هو موضوع متفق عليه بين الأمة باعتبار الحديث النبوي المصدر التشريعي الثاني بعد كتاب الله تعالى وهو أساس البيان لمفاهيم القرآن لقوله تعالى: لتبين للناس ما نزل إليهم.

وهذه المنزلة الشريفة التي حظي بها كان باعثا على توليته غاية الأهمية فاستنهضت العزائم إلى جمعه فتمضت في سبيل حفظ رسومه ومعانيه الليالي والأيام، وكان مضرب الأمثال صنيع جمع من أهل الحديث الذين كانوا يرحلون في بغية سماع حديث واحد ويقطعون له المسافات الشاسعة ويرفلون إلى سائر الآفاق بنجائب الهمم العالية.

وقد كان للمغاربة من بين هؤلاء القدح المعلى في تزيين هذه المآثر والسبق في اعتلاء تلك المنائر حيث شهروا بالاطلاع الواسع والتمكن من الحديث رواية ودراية.

ورغم المد والجزر الذي شهدته الصناعة الحديثية المغاربية التي تأرجحت بين الخفوت وأوج العطاء المعرفي لعوامل يطول سردها بعضها علمي وبعضها سياسي، لكن بقيت العناية بجانبين من العلوم مستمرة في جميع الحقب، وهي كما يلي:

الجانب الأول: جانب الدراسة النظرية لمتون الأحاديث، والتعمق في شرحها واستخراج الفوائد والنكت، وخاصة ما يتعلق بالسيرة النبوية وهدي الرسول صلى الله عليه وسلم فإن للمغاربة في هذا الجانب النظري إنتاجاً لا يستهان به وآثاراً لا تنكر أهميتها، أما الجانب العلمي فقد تمثل في استنباط الأحكام الفقهية من الحديث للعمل على وفقها، فهو ما أصابه الجزر في الحقب المشار إليها سابقا نتيجة اعتماد الفروع الفقهية وما جمعه الفقهاء من ذلك في الأحكام والعبادات والعمل اليومي وهو أحد أسباب قلة حفاظ الحديث في تلك الحقب..."[1]

1- عناية المغاربة بصحيح البخاري:

لا تخفى مكانة الصحيحين في الأمة الإسلامية؛ إذ يعدان أصح كتابين بعد كتاب الله تعالى بالنظر إلى درجة التوثق والتمحيص والصحة في روايتهما لذا قال ابن الأثير: "وكأن غاية هذا العلم انتهت إلى البخاري ومسلم ومن كان في عصرهما من علماء الحديث"

[1]– تراث المغاربة في الحديث النبوي وعلومه، محمد بن عبد الله التليدي، ص:18

قال أبو عمرو بن الصلاح: و"كتاباهما- البخاري ومسلم- أصح الكتب بعد كتاب الله العزيز"[2]

وقد اهتبل المغاربة بصحيح البخاري إذ بعد أن انشغلوا في بادئ الأمر بتثبيت الفروع والمذهب فاحتفلوا حينها بأصل إمامهم مالك بن أنس الذي يعد حينها أصح الكتب الحديثية والفقهية، وبعد استقرار الأحكام وانتثار المسائل على وفق القواعد المذهبية اتجه المغاربة إلى الاهتمام بباقي كتب الحديث الصحيحة فتناولوها بالدرس والتمحيص وارتحلوا لطلب أسانيدها العالية من المشرق كما هو صنيع العالم التونسي "أبي الحسن علي بن محمد ابن خف الشهير بالقابسي حين توجه إلى الحج عام 352هـ وسمع من حمزة بن محمد الكتاني الحافظ والقاضي بن أحمد الجرجاني وهما عن الإمام الفربري عن البخاري، ويعتبر القابسي أول من أدخل البخاري إلى إفريقية وسنده وسند أبي ذر الهروي ومن أخذ عنهما مذكور في أوائل فتح الباري.."[3]

وتبعه أبو عبد الله المالكي القيرواني الذي شد الرحال إلى مكة في أواخر القرن الرابع ولقي أبا ذر الهروي وعنه أخذ صحيح البخاري وألف كتابا في مناقب البخاري،

وكما يعد أبو محمد الأصيلي (392هـ) أول من روي عنه صحيح البخاري بالمغرب وذلك في منتصف القرن الرابع الهجري بروايته عن الإمام المروزي في أثناء حجه.

وقد انتحل السبق في روايته جماعة من الفضلاء منهم أبو بكر بن محرز السجلماسي سمع من أبي ذر الهروي سنة 413هـ، وأبو الحجاج يوسف بن حمود بن أبي مسلم الصدفي السبتي (428هـ)، وأبو عمران الفاسي (430هـ)، واشتهر ابن الغرديس برواية البخاري حتى اقترن اسمه برواية الصحيح في جهة المغرب وتميزه عن باقي الرواة، قال ابن الابار في معجمه: "وكان قد حج قديما وسمع البخاري من أبي ذر الهروي وعمر طويلا حتى انفرد برواته.."[4]

قل المنجور عنه: "عمر طويلا نحو مائة سنة وسمع في رحلته من أبي ذر الهروي فقصده للرواية كثير كأبي القاسم بن ورد وغيره.." وسأورد مسرداً لبعض التصانيف على البخاري لعلماء الغرب الإسلامي دليلا على الاهتبال الذي لقيه هذا المصنف الجامع الصحيح في هذه الجهة من العالم الإسلامي،

النصيحة في شرح البخاري، لأبي جعفر بن نصر الداودي التلمساني (402هـ)

شرح البخاري، لأبي القاسم المهلب بن أحمد بن أبي صفرة التميمي المري (332هـ)

---

[2] مقدمة ابن الصلاح، ص:84.

[3] شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، 1/

[4] – معجم في أصحاب القاضي أبي علي الصدفي، لابن الآبار، ص:176

https://scopmajd.com/ « ISI: (0.360) « ISSN (Online): 3005-2033

شرح البخاري، لأبي الحسن علي بن خلف القرطبي المعروف بابن بطال (449هـ)

شرح البخاري لأبي الأصبغ عيسى بن سهل الأسدي (486هـ)

كتاب النيرين في الصحيحين، لأبي بكر بن العربي (543هـ)

شرح غريب البخاري لأبي عبد الله محمد بن أحمد اليفرني المكناسي (818هـ)

شرح البخاري محمد بن مرزوق الجد (873هـ)،

وهذه بعض التلميحات ودون عدها خرط القتاد لأن "كثيرا من إنتاج أهل العدوتين – الأندلس والمغرب– لازال مجهولا ولا زال في حاجة إلى بحث ودراسة وجمع وتعريف"[5]

2- عناية المغاربة بصحيح مسلم:

امتاز المغاربة عن قرنائهم المشارقة باحتفائهم بجامع مسلم بن الحجاج وشادو به سائر مصنفات الحديث، فلم يقاربه في فضله ولم يدانه في علو شأنه مسطور، قال ابن خلدون: "وأما صحيح مسلم فكثرت عناية علماء المغرب به وأكبوا عليه وأجمعوا على تفضيله على كتاب البخاري"[6] قال التجيبي في برنامجه: "وقد فضل طائفة من أهل المغرب صحيح مسلم هذا على صحيح البخاري، منهم أبو محمد ابن حزم الحافظ لأنه ليس فيه بعد خطبته إلا الحديث الصحيح مسروداً غير ممزوج بمثل ما في كتاب البخاري في تراجم أبوابه من الأشياء التي لم يسندها أهل الوصف المشروط في الصحيح وأيضا فإن مسلماً قد اختص بجمع طرق الحديث في مكان واحد"[7]، وفي هذا النص بيان وجوه التفضيل ومرجعها إلى أمرين:

1 – استقلال مسلم بالرواية المتصلة خلاف للبخاري الذي أدرج في صحيحه المعلقات.

2 – منهج مسلم في ترتيبه وعدم التقطيع للحديث مما يسهل على الناظر من استحضار النص المراد دون تشويش عليه.

وهو فصيح قاله ابن الصلاح في بيان وتعليل صنيع المغاربة: "إنما يفضل على البخاري بما وقع فيه من تجريده عما مزج به البخاري كتابه من غير الصحيح مما لم يكن على شرطه وأكثر ما وقع له ذلك في التراجم"[8]

---

[5] – تراث المغاربة في الحديث النبوي، ص:19

[6] – المقدمة، ص:182

[7] – برنامج التجيبي، ص:93

[8] – نقله ابن خلدون في مقمته: ص: 182

ولم يكن ذلك من باب الاعتباط والادعاء، بل عن تتبع وتحقيق نظر ومقارنة بين الصناعتين، ويظهر ذلك في الوسع المبذول في تتبع روايته واستحصالها والاشتغال بفتح مغاليقه وبيان وجوه التأويلات من دلالاته، فمن جملة ذلك:

اقتباس السراج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو الحسن علي بن احمد بن مروان الوادي آشي (609هـ).

المعلم بفوائد مسلم للمازري (536هـ)

إكمال المعلم، القاضي عياض السبتي (544هـ)،

المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم لأبي العباس أحمد بن عمر المعروف بابن المزين القرطبي (656هـ)

إكمال إكمال المعلم بفوائد مسلم لأبي عبد الله محمد بن خليفة الأبي التونسي (827هـ).

ويعتبر الأخير من أجود المصنفات على إكمال المعلم للقاضي عياض جمع فيه الشارح بين أربعة من المصادر السابقة لى مسلم:

المعلم للمازري والأكمال للقاضي عياض والمفهم للقرطبي والمنهاج للنووي، مع زيادات مكملة على المواضع المشكلة من كلام هؤلاء.

نظرات في منهج الأبي في إكمال إكمال المعلم صرح المصنف في مبدإ كتابه على طريقته في وضعه لكتابه قائلا: "فإن هذا تعليق أمليته على كتاب مسلم ضمنته كتب شراحه الأربعة المازري وعياض والقرطبي والنووي مع زيادات مكملة وتنبيه عى مواضع مشكلة ناقلا لكلامهم بالمعنى لا باللفظ حرصاً على الاختصار مع ما في ذلك من بيان ما قد يعسر فهمه من كلامه بعضهم لتعقيده لا سيما من كلام القاضي عياض..."

ويتضمن التالي:

1- بيان مصادره المعتمدة في بنائه المعرفي وصياغته لمادة المصنف.

2- اعتياضه عن النقل باللفظ بالنقل بالمعنى طلباً للاختصار وهو ما يعسر معه الوقوف على النقول عند التوثيق لاسيما إن وقع تصحيف في النقل من طرف بعض النساخ.

3-شرحه عبارة عن تعليق أملاه على مسلم.

4- تركه شرح مقدمة صحيح مسلم مما ينبئ إلى الصناعة الفقهية للكتاب بدل الخوض في الصناعة الحديثية: ولم أتعرض للكلام على الخطبة لأنها في علم الحديث وذلك شيء آخر..."

5- شرحه لجميع الأحاديث الكتاب من كتاب الإيمان إلى كتاب التفسير.

https://scopmajd.com/ « ISI: (0.360) « ISSN (Online): 3005-2033

6- النظر الاجتهادي للأبي في شرحه وهو مايفهم من قوله : "مع زيادات مكملة"

7- لم يلتزم الأبي التراجم التي وضعت على الأبواب بل له تبويبات يضعها من لدنه ويجعل لحديث ذي الطرق المتعددة تراجم مستقلة فيقول : "الحديث من الطريق الثاني"، "الحديث من الطريق الثالث"

عدا تراجم الكتب مثل كتاب الإيمان كتاب الطهارة كتاب الصلاة فهو ملتزم بها كما وردت في الكتاب.

تصديره للكلام المراد شرحه بعبارة (قوله:...)

اعتماده على كتب الغريب واللغة.

ذكره للمسائل العقدية والمسائل الحكمية المرتبطة بالباب والفوائد المتعلقة بها ناقلا أقوال الشراح الآخرين ثم يعقب على مايراه مناسبا لذلك بعبارة (قلت:...)، وقد ينقل عن شخه ابن عرفة الذي يحتفي به كثيراً بقوله: (قال الشيخ..)

عنايته بالمذهب المالكي تأصيلا وتعليلا مع مزيد بيان وتفصيل والرد على ما ق يعترض به عليه أو توجيه بعض الأقوال المنسوبة لمالك رحمه الله كما في باب المسح على الخفين. أما المذاهب الأخرى فيكتفي في الغالب بما نقله الشراح الأربعة.

اعتماده في مادة الكتاب زيادة على الرابعة المنصوصة ما تعلق بمذهب مالك من الأصول المعتبرة كابن القاسم وابن عبد الحكم وابن حبيب واللخمي وابن العربي وغيرهم.

وينقل من كتب الغريب مثل كتاب أبي عبيدة القاسم بن سلام والخليل وابن دريد.

3- عناية علماء الغرب الإسلامي بكتب الجمع بين الصحيحين:

وكتب في الجمع بين الصحيحين كثير من العلماء، منهم: الإمام أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي، الأندلسي، الميورقي، الفقيه (488هـ). والمحدث الزاهد أبو القاسم عبد الرحمن بن يحيى بن الحسين بن محمد القرشي الأموي من أهل إشبيلية (هـ) وكتابه في الجمع بين الصحيحين مفيد وضعه علي الاستقصاء

والتزام الأسـانيد[9]. وأبو عبد الله محمد بن حسـين بن أحمد بن محمد الأنصـاري: من أهل المرية ويعرف بابن أحد عشر (532هـ).[10]

والإمام الحافظ البارع المجود العلامة أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسـين بن سعيد الأزدي، الأندلسي، الإشبيلي، المعروف في زمانه بابن الخراط (581)[11]. ومحمد بن محمد بن سعيد بن أحمد بن سـعيد بن عبد البر بن مجاهد الأنصـاري من أهل إشـبيلية وسـكن بعض سـلفه بطليوس يكنى أبا الحسين ويعرف بابن زرقون، (621هـ)، له: "قطب الشريعة في الجمع بين الصحيحين"

4- عناية المغاربة بموطأ الإمام مالك:

اعتنى العلماء المغاربة بشرح الموطأ، فبرز من الشراح الكثير، نذكر منهم: القاضي أبا عبد الله بن الحذاء (416هـ)، كان فقيها عالما حافظا، مميزا للحديث ورجاله، بصيرا بالوثائق، ألف شرحا في الموطأ سماه كتاب "الاستنباط لمعاني السّنن والأحكام من أحاديث الموطأ"، ثمانين جزءاً، وكتاب "التعريف برجال الموطأ"، أربعة أسفار.[12]

ومنهم حافظ الأندلس أبو عمر يوسـف ابن عبد البر القرطبي الأندلسـي (463هـ) وله فيها كتابا: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسندي، ولاستنكار الجامع لمذهب فقهاء الأمصار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار، وكتاب التقصي لحديث الموطأ.

---

[9] – ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (658هـ)، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة – لبنان، 1415- 1995م (33/3)

[10] – ابن بشكوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس: (الصلة: 551/1)، وابن خير، أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة اللمتوني الأموي الإشبيلي (575هـ)، الفهرسة، تحقيق: محمد فؤاد منصور، دار الكتب العلمية – بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى، 1419هـ/1998م، (1/ 102)

[11]– التلمساني، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري (1041هـ)، "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب" تحقيق: إحسان عباس، دار صادر– بيروت – لبنان ص. ب 10، الطبعة: 1، 1997، (2/615)

[12] – القاضي عياض، ترتيب المدارك: (8/5)

https://scopmajd.com/ « ISI: (0.360) « ISSN (Online): 3005-2033

ومنهم أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي (474هـ)، ألف كتاب "الاستيفاء في شرح الموطأ"، ولما طلب منه بعض تلامذته اختصاره، أجابهم لما طلبوا وسمى المختصر: "المنتقى في شرح الموطأ"، ثم اختصر من المنتقى كتاباً آخر سماه "الإيماء"[13].

ومنهم القاضي أبو بكر بن العربي الأندلسي المعافري (543هـ)، له كتابا "القبس شرح موطأ الإمام مالك ابن أنس"، و" المسالك شرح موطأ الإمام مالك"، وله شرح سنن الترمذي المسمى "عارضة الأحوذي".

5- عناية المغاربة بأسانيد الحديث النبوي الشريف:

أ- أسانيد الرواية كرواية أبي ذر الهروي، والقابسي، والأصيلي، والصدفي على جهة الخصوص التي يدور السند المغربي عليها.

ب- اختصاص بعض أهل العلم بها كالجياني، وأبي على الصدفي، وأبي الوليد الكناني، ويونس بن محمد بن تمام الأنصاري.

ج - اختصاصهم بضبطها مثل ما عرف عن إبراهيم بن هارون بن خلف المحمودي.، وأبي عبد الله محمد بن أحمد التجيبي، وأبي جعفر أحمد بن محمد بن عبد العزيز اللخمي، وأحمد بن طاهر الأنصاري..

د- تفرد بعضهم بحفظها مثل: أبي عبد الله محمد بن هاشم الهاشمي، وأبي يعقوب يوسف الموحدي، وأحمد بن الحسين بن حي التجيبي، وحسين بن محمد الصدفي.

خاتمة:

وهذه المجموعة جملة مختصرة من أولية النظر فيما يتخلل صنيع العلماء المغاربة رحمهم الله للكشف عن شيء من طريقتهم ومنهجهم العام في العناية بالحديث وشرحه وروايته من غير تفصيل وتطويل وسيأتي إن شاء الله البيان التفصيلي للمنهج التحليلي التالي لما استقريناه سابقا. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

[13]- القاضي عياض، ترتيب المدارك: (8/124)

قائمة المصادر والمراجع:

1. ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (658هـ)، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة – لبنان، 1415- 1995م(3/33)
2. ابن بشكوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس: (الصلة: 551/1)، وابن خير، أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة اللمتوني الأموي الإشبيلي (575هـ)، الفهرسة، تحقيق: محمد فؤاد منصور، دار الكتب العلمية – بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى، 1419هـ/1998م، (102 /1)
3. التلمساني، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري (1041هـ)، "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب" تحقيق: إحسان عباس، دار صادر– بيروت – لبنان ص. ب 10، الطبعة: 1، 1997، (615/2)

https://scopmajd.com/ « ISI: (0.360) « ISSN (Online): 3005-2033